

العلاقة بين البلاغة والتفسير

.....

أ.م.د. صكبان عبد الله محمد المكدمي

إبراهيم جمعة عيسى

جامعة تكريت – كلية العلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله واصحابه اجمعين اما بعد :
إن علم التفسير أجل العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأوجبها وأحبها إلى الله، لأن الله أمر بتدبر كتابه، والتفكر في معانيه ، والاهتداء بآياته ، وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسنى المواهب، فلو أنفق العبد جواهر عمره في هذا الفن، لم يكن ذلك كثيراً في جنب ما هو أفضل المطالب، وأعظم المقاصد، وأصل الأصول كلها، وقاعدة أساس السعادة في الدارين، وصلاح أمور الدين والدنيا والآخرة ، ولا يمكن لأي أنسان أن ينكر الصلة الوثيقة بين علمي التفسير والبلاغة ، فلا يجوز إقصاء البلاغة عن التفسير ، وإبعادها عن وظيفتها في الوقوف على الخصائص التعبيرية للآيات الكريمة واستخلاص معانيها ، ناهيك عن التأثير الذي تحدثه بلاغة آيات الكتاب العزيز في نفس السامع لها ، والقارئ وإيصال المعنى إلى قلبه في أحسن صورة من اللفظ لذا فقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : شرعت فيه تعريف البلاغة والتفسير واشتمل على اربعة مطالب :

المطلب الاول : تعريف البلاغة لغة 0

المطلب الثاني : تعريف البلاغة اصطلاحاً 0

المطلب الثالث : تعريف التفسير لغة 0

المطلب الرابع : تعريف التفسير اصطلاحاً 0

أما المبحث الثاني : تكلمت فيه عن علاقة البلاغة بالتفسير وكونها الأداة إلى فهم معاني الآيات القرآنية 0

أما المبحث الثالث : تحدثت فيه عن أهمية البلاغة في كتاب الكشاف للإمام الزمخشري لما فيه من دقة التعبير ولطائف بلاغية كثيرة 0

ثم الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي وصل إليها البحث ، أجملت فيها ما سبق عرضه تفصيلاً وأعقبته بقائمة المصادر التي أفدت منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله واصحابه أجمعين000



المبحث الأول: التعريفات
المطلب الأول : تعريف البلاغة لغة :

قال ابن منظور : ((بَلَغَ الشَّيْءُ يَبْلُغُ بُلُوغًا وَبَلَاغًا: وَصَلَ وَانْتَهَى، وَأَبْلَغَهُ هُوَ إِبْلَاغًا وَبَلَّغَهُ تَبْلِيغًا))⁽¹⁾

وقال صاحب المعجم الوسيط : ((البلاغة حسن البَيَان وَقُوَّةُ التَّأْثِيرِ وَعِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ))⁽²⁾
المطلب الثاني : تعريف البلاغة اصطلاحاً :

قال الجرجاني : ((البلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال. والمراد بالحال: الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته، أي فصاحة الكلام. وقيل: البلاغة : تنبؤ عن الوصول والانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلم فقط، دون المفرد))⁽³⁾
وقال الكفوي : ((البلاغة هِيَ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ لِمَا طَابَقَهُ مِنَ اللَّفْظِ الرَّائِقِ مِنْ غَيْرِ مَزِيدٍ عَلَى الْمَقْصِدِ وَلَا انْتِقَاصٍ عَنْهُ فِي الْبَيَانِ))⁽⁴⁾
المطلب الثالث : تعريف التفسير لغة :

قال ابن منظور : التفسير : الإيضاح والتبيين⁽⁵⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾⁽⁶⁾

وقال السيوطي : ((التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر تقول : أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المريض))⁽⁷⁾ 0

المطلب الرابع : تعريف التفسير اصطلاحاً :

قال ابو حيان: ((التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمت ذلك))⁽⁸⁾
وقال الجرجاني : (توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة))⁽⁹⁾

وقيل : ((وهو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّتها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها،

ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدا ووعيدها، وأمرها ونهيها،
وأمثالها وغيرها))⁽¹⁰⁾

المبحث الثاني: علاقة البلاغة بالتفسير

نفهم من خلال تعريف البلاغة السابق أن سلامة تركيب الكلمات إذا أدى إلى إفادة معنى يكون هذا من البلاغة ، أي أن الكشف عن المعنى والوصول إلى المقصود هو من البلاغة ، وهذا بحد ذاته يكشف عن علاقة البلاغة بالتفسير⁰ وليس عبثاً إذ أطلق العلماء على أبرز قسم من أقسام البلاغة (علم المعاني) ، فلولا التصاقه بالمعاني وكشفه عنها لما كان لهذه التسمية فائدة كبيرة⁽¹¹⁾

إن فهم القرآن الكريم وتفسيره بالاستعانة بعلوم البلاغة يعد تفسيراً بالرأي ، وحتى يكون التفسير بالرأي محموداً مقبولاً لابد أن تتوفر فيه شروط المعروفة لدى المهتمين بهذا العلم ، مثل موافقة ما صح عن رسول الله (ﷺ) وعدم بتر النص القرآني عن سياقه ، وموافقة اللغة العربية ، وأن لا يكون التفسير موافقاً لبدعة أو هوى ، والبلاغة جاءت وسيلة لفهم القرآن والوقوف على إعجازه ، وهي أداة من الأدوات وعلم من العلوم التي يحتاجها لمن يتصدى للتفسير⁽¹²⁾ ، لذا نجد أن الزمخشري جعل علمي المعاني والبيان والإلمام بهما أهم أدوات التفسير ، إذ قال: ((إن أملاً العلوم بما يغمر القرائح وأنفضها بما يبهز الأبواب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وإن برز علم الأقران في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم؛ وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام والحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي، وإن كان من سيبويه واللغوي، وإن علق اللغات بقوة لحيه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن الكريم وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في أرتيادهما آونة وتعب في التنقيب عنها أزمنة وبعثته على تتبع مظاهرها همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله (ﷺ) بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات))⁽¹³⁾

وقد ذكر أبو حيان في تفسيره أهمية أن يتذرع المفسر بعلوم البلاغة وأهمها البيان فقال : ((والوجه الثالث كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع

وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة واجمعها ما وضعه الأديب الحافظ المتبحر (أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري) في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) (14)

وقد تحدث الشوكاني عن معرفة كل ما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي تبين بها دقائق اللغة العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان، فإن التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي المنهي عنه (15)

وابرز الالوسي أهمية كل علم من علوم البلاغة بالنسبة للمفسر فقال: علم المعاني والبيان والبدیع ويعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى وبالثاني خواصها من حيث اختلافها وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهو الركن الاقوم واللازم الأعظم في هذا الشأن (16)

وأكد عبد القاهر الجرجاني ضرورة الاهتمام بعلم البيان لمن يريد التفسير قائلاً : ((ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يتوهّموا أبدأً في الألفاظ الموضوععة على المجاز والتمثيل أنّها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسماع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرق وناهيك بهم إذ هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به)) (17) والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات، وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشف للزمخشري (18)

يتبين لنا من كل ما سبق من الأقوال مدى الصلة الوثيقة التي بين علمي التفسير والبلاغة ، فلا يجوز إقصاء البلاغة عن التفسير ، وإبعادها عن وظيفتها في الوقوف على الخصائص التعبيرية للآيات القرآنية واستخلاص معانيها ، ناهيك عن التأثير الذي تحدثه بلاغة آيات القرآن في نفس السامع لها والقارئ وإيصال المعنى إلى قلبه في أحسن صورة من اللفظ وليبيان هذه الصلة لا بد لنا من الوقوف على بعض الامثلة لتتجلى هذه الصلة ونلمسها واقعاً عملياً

إن اختيار اللفظة القرآنية الذي هو من مظاهر البلاغة أمر شديد الصلة بالمعنى الذي تفيد به الآية ، وإلا فلماذا ذكر الله عز وجل كلمة (السنة) تارة ، وكلمة (العام) تارة أخرى ، في الآية نفسها ؟ فقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (19)

إذ بين القرآن الكريم دقة استعمال واختيار المفردة القرآنية وانها قد امتازت بسمة القصدية والتي هي وقوع اللفظة بعينها في مكانها المقصود، لم يكن ذلك إلا لأن كل كلمة تعطي معنى مختلفاً عن الآخر ، فالسنة تلقى من منطوقها ظلال الشدة والقحط والصعوبة ، أما العام هو على عكس من ذلك ، قال تعالى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ (20)

ثوإذا لاحظنا الت ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصُرُونَ ﴾ (21)،

ال التقديم والتأخير وهو مبحث من مباحث علم المعاني الذي هو أحد أقسام علم البلاغة وعرفنا ما له من أثر على المعنى ، نعلم حينئذ مدى التصاق علم المعاني وعلم التفسير ، فليس تقديم المفعول إياك في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (22)

، إلا المعنى أفاده هذا التقديم ، وهو التخصيص ؛ لأن العبادة والاستعانة مختصان بالله تعالى ، فلا يعبد احد غيره ولا يستعان به ، لذلك قال المفسرون إن تفسير الآية نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة ، ولم يقولوا نعبدك ونستعينك 000 وفرق بين التفسيرين (23) 0 والذكر والحذف من مباحث علم المعاني ويتبين من خلاله اهمية البلاغة في التفسير فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (24) وهذه

الآية عن السد الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب فقال : ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا ﴾ اي صعدوا عليه فحذف التاء والأصل (استطاعوا)

ثم قال : ﴿ وَمَا اسْتَطَعُوا ﴾ ببقاء التاء ، وذلك أنه لمل كان صعود السد الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس ايسر من نقبه واخف عملاً وخفف للعمل الخفيف

فحذف التاء فقال (استطاعوا) وطول الفعل باطول بناء له للعمل الطويل فقال : (استطاعوا)،⁽²⁵⁾ وكذا يقال في علم البيان من تشبيهات واستعارات ومجازات وفي علم البديع من جناس وطباق ومقابلة 0

المبحث الثالث: أهمية البلاغة في تفسير الكشف للزمخشري

عندما يلقي الإنسان نظرة فاحصة على العمل التفسيري الذي قام به الإمام الزمخشري في كتابه الكشف ، يظهر عليه أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية ، كان في تبين ما في القرآن من الثروة البلاغية ، التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله ، والذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من ضروب

الاستعارات والمجازات ، والأشكال البلاغية الأخرى ، يرى أن الزمخشري كان يحرص كل الحرص على أن يبرز في حلة بديعة جمال أسلوبه وكمال نظمه ، ويحاول أن يعزز رأيه بكل وسيلة فيستعين بكلام العرب تارة ، ويستشهد بآيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ) تارة أخرى (26)

وإذا استعرضنا كتب التفسير وتأملنا مبلغ عنايتها باستخراج ما يحتويه القرآن من ثروة بلاغية في المعنى والبيان ، بأنه ربما لا يوجد تفسير أوسع مجالاً في جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري (27)

ويرى الزمخشري ان البيان القرآني نمط من بيان العرب يجري أحياناً على أسلوب الشعر ، والبيان القرآني على أسلوب الشعر في الفاصلة (28)

لم يعرض الزمخشري إلى المصطلحات البلاغية كما استخدمها البلاغيون قبله أو بعده ، انما كان له منهج في ذلك ، إذ يستعين بالمصطلح البلاغي للكشف البياني عن معاني القرآن الكريم ولذلك فان ورود المصطلح البلاغي في الكشف يختلف عن وروده في كتب البلاغيين ، وذلك من حيث الغاية والمقصد ، وإن اتفق الزمخشري مع البلاغيين في تسمية المصطلح ، ولكنه لا يلح عليه باعتباره درساً في فنون البلاغة العربية، بل بوصفه لوناً وطريقاً مؤدياً إلى تحليلات البيان القرآني (29)، ومن ذلك قوله حول الآية قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (30)

، والمعنى ((وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ، ولكن ما رقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم ، وطير تمييزهم ، وردهم فينحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه ، وقيل ترأهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب)) (31)

ومثال التشبيه في الاستعمال القرآني ، الاستعارة وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (32) 0

((استعير) الضلال البعيد) من ضلال من ابعد في التيه ضالاً فطالت
وبعدت مسافة ضلالته))⁽³³⁾ 0

ومنها الكناية كما جاء في تفسير لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾⁽³⁴⁾ 0

لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد من حيث أنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة، وفائدة الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، تحويل شأن العناد بإنابة انتقاء النار منابه وابرزه في صورته مشيعاً ذلك بتحويل صفة النار وتفضيع امرها⁽³⁵⁾، ومن دقة التعبير القرآني في قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقَوُّنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بَأْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾⁽³⁶⁾

((والقول لا يكون الا بالفهم قلت : معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على السنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بَأْوَهِهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾⁽³⁷⁾

اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وموجبة))⁽³⁸⁾، ونلاحظ أنه يكثر من المجاز المرسل التي تتحقق به العلاقة المحلية، فهو يصرف معنى الآية الى المجاز دون الحقيقة مظنة موافقة رأيه ومعتقده: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾⁽³⁹⁾

، ((لا ينظر إليهم ، مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول : فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه إليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم فان قلت : اي فرق

بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من أعتد بالإنسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وإن لم يكن ، ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الاحسان مجازاً عما وقع كناية عن فيما يجوز عليه النظر ((⁽⁴⁰⁾) وقد أكثر من التنبيه على الالتفات باعتباره احد روائع البيان القرآني ، ويبين عن حسن هذا الأسلوب في القرآن الذي بالتفنن فيه يطرى نشاط السامع قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽⁴¹⁾ ، فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت : هذا ما يسمى بالالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁽⁴²⁾ وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ اللَّهُ الشُّرُوءُ﴾⁽⁴³⁾

، وذلك على عادة تفننهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للأصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد⁽⁴⁴⁾ ، ومن استعمالات الالتفات ما يرمي الى غاية التفخيم والتعظيم كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾⁽⁴⁵⁾

، ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتعظيماً لاستغفاره⁽⁴⁶⁾

ولقد كانت لعناية الزمخشري بهذه الناحية في تفسيره من الأثر بين المفسرين وبين ما هو واضح بين، أما أثره بين المفسرين ، فإنهم استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه ، فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه ، الزمخشري في كشفه من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى ، واعتمدوا ما نبه عليه من نكات بلاغية ، تكشف عما دق من براعة نظم القرآن وحسن أسلوبه ⁰

وأما أثره بين مواطنيه من المشاركة ، فإنهم أخذوا عنه هذا الفن البلاغي وبرعوا فيه ، حتى سبقوا من عداهم من المغاربة وقد بين ابن خلدون في مقدمته ، عند الكلام عن علم البيان ، ما لتفسير الزمخشري من الأثر في براعة هذا الفن ⁽⁴⁷⁾

الخاتمة

من خلال دراستنا للعلاقة بين البلاغة والتفسير ظهرت لنا أمور منها :

1. إن البلاغة العربية أحد أدوات المفسر المهمة لأنه بها تتبين له المعاني والفوائد التي تكون أبعد من نطاق اللفظ 0
2. من خلال البلاغة العربية يتبين جمال الأسلوب القرآني وبراعته مما له صلة بالإعجاز البياني في القرآن الكريم 0
3. صلة البلاغة بالتفسير لأنها تعطي معاني الكلمات من اللفظ للآيات القرآنية 0
4. إن تفسير الإمام الزمخشري قمة في الروعة والبيان لذلك اجتهد في تفسير الآيات للوصول إلى تلك المعاني والمقاصد حتى تميز تفسيره بهذه السمة وفاق كل التفاسير من هذه الناحية

ثبت الهوامش

- 1 - لسان العرب، مُجَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي 711 هـ: ت: ، دار صادر - بيروت 1414 هـ، ط 3، 8 / 419 0
- 2 - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، دار الدعوة، 1 / 70 0
- 3 - التعريفات، علي بن مُجَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816 هـ) دار الكتب العلمية بيروت 1403 هـ 1983 م، ط 1، 1 / 120 0
- 4 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي ت: 1094 هـ، تحقيق: عدنان درويش - مُجَّد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت 1 / 236 0
- 5 - لسان العرب: 5 / 55 0
- 6 - سورة الفرقان: الآية / 33 0
- 7 - الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت 1416 هـ / 1996 م، ط 1، 2 / 460 0
- 8 - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُجَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق صدقي مُجَّد جميل دار الفكر - بيروت، 1 / 26 0
- 9 - كتاب التعريفات: 1 / 63 0
- 10 - كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مُجَّد بن علي ابن القاضي مُجَّد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان - بيروت، ط 1 - 1996 م، 1 / 32 0
- 11 - مقالة على شبكة المعلومات على موقع: ملتقى البيان لتفسير القرآن 0
- 12 - ينظر: تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية، عمر الملا حويش، جامعة بغداد، 1972، ص 336 0
- 13 - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1 / 42. 43 0
- 14 - تفسير البحر المحيط، 1 / 107 0
- 15 - ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مُجَّد بن علي بن مُجَّد الشوكاني، دار الفكر بيروت، 1 / 12 0

- 16 - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 1 / 6.5 0
- 17 - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، دار الكتاب العربي - بيروت 1415 هـ ، ط 1 ، 1 / 235 0
- 18 - ينظر: مقدمة أبن خلدون ، عبد الرحمن بن مُحمَّد بن خلدون الحضرمي ، دار القلم ، ط 5 ، 440/1 0
- 19 - سورة العنكبوت: الآية / 14 0
- 20 - سورة يوسف: الآية / 47 0
- 21 - ينظر: إعجاز القرآن الكريم ، د0 فضل عباس ، دار الفرقان ، ص 178 0
- 22 - سورة الفاتحة: الآية / 5 0
- 23 - ينظر: التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ص 48 0
- 24 - سورة الكهف: الآية / 97 0
- 25 - ينظر التعبير القرآني ، ص 72 0
- 26 - ينظر: اثر البلاغة في تفسير الكشاف ، عمر الملا حويش، دار البصري - بغداد 1390 هـ ، ص 195 0
- 27 - ينظر: التفسير والمفسرون، د0 مُحمَّد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة - مصر 1396 هـ، ط 2، 443 / 1
- 28- ينظر: مناهج وآراء في لغة القرآن ، د0 مُحمَّد بركات حمدي ابو علي ، دار الفكر - عمان 1984 م ، ص 41
- 29 - ينظر : مناهج وآراء في لغة القرآن ، ص 41 0
- 30 - سورة الحج : الآية / 2 0
- 31 - الكشاف ، 3 / 143 . 144 0
- 32 - سورة الحج : الآية / 11 0
- 33 - ينظر: الكشاف، 3 / 148 0
- 34 - سورة البقرة: الآية / 24 0
- 35 - الكشاف ، 1 / 132 0
- 36 - سورة النور: الآية / 15 0

- 37 - سورة آل عمران: الآية / 0 167
- 38 - الكشف: 3 / 0 224. 223
- 39 - سورة آل عمران: الآية / 0 77
- 40 - ينظر دراسات في التفسير ، والمفسرين ، د0 عبد القهار داود عبد الله العاني ، مطبعة أسعد .
ص 0 137
- 41 - سورة الفاتحة : الآية / 0 5
- 42 - سورة يونس : الآية / 0 22
- 43 - سورة فاطر : الآية / 0 9
- 44 - الكشف : 1 / 0 56
- 45 - سورة النساء: الآية / 0 64
- 46 - ينظر: منهج الزمخشري : في تفسير القرآن وبيان اعجازه ، د0 مصطفى الصاوي الجويني ،
ص 232
- 47 - ينظر: التفسير والمفسرون ، 1 / 0 444. 443

المصادر والمراجع

القران الكريم.

- (1) الإلتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق سعيد المندوب ، دار الفكر ، بيروت 1416 هـ / 1996 م ط 1 0
- (2) اثر البلاغة في تفسير الكشاف ، عمر الملا حويش ، دار البصري . بغداد 1390 هـ / 1970 م
- (3) إعجاز القرآن الكريم ، د0 فضل عباس ، دار الفرقان 0
- (4) تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية ، عمر الملا حويش ، جامعة بغداد 1972 0
- (5) التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة 0
- (6) التعريفات ، علي بن مُجَدِّد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816 هـ) دار الكتب العلمية بيروت 1403 هـ - 1983 م، ط 1 0
- (7) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان مُجَدِّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق : صدقي مُجَدِّد جميل دار الفكر - بيروت 0
- (8) التفسير والمفسرون ، د0 مُجَدِّد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة . مصر 1396 هـ / 1976 م، ط 2 0
- (9) دراسات في التفسير ، والمفسرين ، د0 عبد القهار داود عبد الله العاني ، مطبعة أسعد . بغداد 1987 0
- (10) دلائل الإعجاز ، للامام عبد القاهر الجرجاني ، دار الكتاب العربي . بيروت 1415 هـ / 1995 م، ط 1 0
- (11) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت 0
- (12) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مُجَدِّد بن علي بن مُجَدِّد الشوكاني ، دار الفكر . بيروت 0
- (13) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، مُجَدِّد بن علي ابن القاضي مُجَدِّد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي ، تحقيق: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان - بيروت ، ط 1 - 1996 م 0

- (14) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق عبد الرزاق مهدي ، دار إحياء التراث العربي .
- (15) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ) ، تحقيق : عدنان درويش - مُجَّد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت 0
- (16) لسان العرب ، مُجَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ) دار صادر - بيروت 1414 هـ، ط3
- (17) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى وزملائه، دار الدعوة
- (18) مقدمة أبن خلدون ، عبد الرحمن بن مُجَّد بن خلدون الحضرمي ، دار القلم . بيروت 1984هـ، ط5 0
- (19) مناهج وآراء في لغة القرآن ، د0 مُجَّد بركات حمدي ابو علي ، دار الفكر . عمان 1984 0
- (20) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، د0 مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعارف ، ط3 0